(المقدمة وتحليل المصادر)

تكتسب دراسة حصارات المدن أهمية متمـيزة ؛ لأنها تشـكل جانبـاً مهمــاً من جـوانب التـأريخ السياسي والاداري والعسـكري للدولة العربية الاسـلامية . فمن خلال حصـارات المـدن ودراسـتها تعرفنا على الكثير من المدن وقادتها الابطال وشـجاعتهم العظيمة في الدفاع عن مدنهم وكرامتهم وشرفهم، وكذلك عرفنا الكثير من الخطط العســكرية في اقتحــام المــدن وفتحهــا، وعبقرية أولئك القــادة العظــام في الــدفاع عن مــدنهم والاســلحة الــتي كــانت تســتخدمها الجيــوش في حصــارها للمــدن والوســائل الدفاعية للجيوش المحاصرة .

وتشــير المصــادر التأريخية ان الدولة العربية الاســلامية في العصر العباسي ، هــذه الدولة الواســعة الارجــاء تعرّضت مــدنها للكثـير من الحصـارات ، ومنها المـدن العراقية ، إذ سـلّطت هـذه الرسالة تفاصيل تلك الحصارات فضـلاً عن المـدن العربية الاخـرى الــتي تناولتها رســائل واطــاريح جامعية أخــرى وهي : اطروحة دكتوراه للطالب (حسين كاظم حسون) مقدمة الى كلية التربية ـ جامعة بغـداد ــ 2004 بعنـوان (إمـارة طـرابلس الصـليبية 502ــ 688هـ) ، ورسـالة ماجسـتير للطالبـة(ذكـرى عزيز محمد صـالح) المقدمة الى كلية الآداب ـــــ جامعة الموصل ، 1988 بعنـــــوان : (عصر الملك الكامل الايوبي) ، ورسالة ماجستير للطــالب (دريد عبد القادر نوري) المقدمة الى كلية الآداب ـ جامعة بغداد ــ 1976 بعنـوان : (سياسة صـلاح الـدين الايـوبي في بلاد الشـام والجزيـرة 570ـ 589هـ) .

لذلك أرتى الباحث عدم الخوض في تفاصيل حصارات المدن الاسلامية المتفرقة الاخرى .

لقد وقع اختيــاري على موضــوع (حصــار المــدن في الدولة العربية الاسـلامية 132 ــ 656هــ) لما كـان لهـذه الحصـارات من أهمية في تــأريخ العــرب السياسي والعســكري ، ولأن الموضــوع يكتنفه الغموض والابهام ، فضلاً عن ذلك أن هذا الموضــوع لم يلق العناية الكافية من الكتّاب القدامى ، فجاء ذكرهم لحصارات المدن على شكل اخبار متناثرة في اثناء الكتب . فحاولت سـبر غـور هـذا الموضوع معتمداً في دراستي على ما جـاء في المصـادر التأريخية والادبية والمخطوطات والكتب الجغرافية .

وقد قسّــمت الرســالة على ثلاثة فصــول ، فالفصل الاول تناولت فيه حصارات مدينة بغداد عاصمة الدولة العربية الاسلامية ،

إذ تعرّضت بغــداد للكثــير من الحصــارات مثل حصــار طــاهر بن الحســـين ســـنة (197هـــ) ،وحصـــار الخليفة المعـــتز ســـنة (251هــ) ،وحصـار السـلطان محمد السـلجوقي سـنة (551هــ) ، وحصار القوات المغولية بقيادة هولاكو سـنة (656هــ) . ومن خلال هذه الدراسة أبرزت سبب مشكلة الحصار وقــوة الجيش المحاصر وقوة الجيش المدافع والاجـراءات الـتي أتبعها الخلفـاء العباسـيون في الدفاع عن بغداد. وما أسفرت عليه تلك الحصارات .

أما الفصل الثاني فخصص لدراسة حصارات مدينة الموصــل، إذ تعرّضت الموصل للكثــير من الحصــارات إبتــداءً بحصــار أبي الحارث البساسيري ثم حصارات السـلاطين السـلاجقة وحصـارات السلطان صلاح الدين الايـوبي وحصـارات صـاحب أربل وحصـارات أخـرى، وأبـرزت الجـانب المشـرف لأهل الموصل في الـدفاع عن مدينتهم، إذ قاوموا الجيوش المحاصرة لهم مقاومة عظيمة ووقفوا بوجه أقوى الجيـوش مثل جيـوش السـلطان صـلاح الـدين الايـوبي الــذي حاصــرها ثلاث مــرات ولم يتمكن من دخولها إلا بالصــلح مع حاكمها بشروط ترضي الطرفين .

وأنعقد الفصل الثالث على دراسة حصارات بقية مدن العراق مثل مدينة واسط والبصرة وتكريت وسنجار . فواسط شهدت أول حصـــار في الدولة العربية الاســـلامية في العصر العباسي ووقفت بقيادة أميرها يزيد بن هبـيرة بوجه أقـوى الجيـوش العباسـية الـتي كـــان يقودها الحسن بن قحطبة الطـــائي .ولم تتمكن القـــوات العباسية من دخولها إلا بعد أن منحهم الخليفة أبو العباس الســفاح الامان .

أما مدينة البصرة فتعرّضت لحصـارات مثل حصـار يوسف بن وجيه صاحب عمـان، إذ قاومه أهل البصـرة مقاومة عنيفة أجـبروه على الانسـحاب. وكـذلك حصـار مدينة المختـارة عاصـمة صـاحب الـزنج إذ شـهدت أقـوى المعـارك وتمكن الجيش العباسي بقيـادة الامير الموفق (طلحة) من اقتحامها وقتل صاحب الزنج .

أما تكـريت فشـهدت حصــار الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله ووزيـره يحـيى بن هبـيرة ، ولم يسـتطع جيش الخليفة وجيش وزيره اقتحامها بسبب قوة الجيش فيها وقوة المدافعين عنها .

أما سـنجار فشـهدت أربعة حصـارات مثل حصـار السـلطان صلاح الدين الايوبي وحصار الملك العـادل وحصـار بـدر الـدين لؤلؤ وغيرها من الحصارات ، إذ تمت دراستها دراسة مركزة ودقيقة .

هذه هي محتويات الرسـالة بفصـولها ومباحثهـا. أما المصـادر الـتي اعتمـدت عليها في دراسـتي فهي كثـيرة ومتنوعة فمنها كتب التأريخ العام والتراجم والبلدانيات وكتب الادب ومن هذه الكتب : الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت 310هـ) وقد افـدتُ منه كثـيراً إذ وجـدت فيه التفاصـيل الجيـدة وتحليله المعلومـات ونقدها، ويعتمد الطبري على طريقة الحوليات في متابعة الاحـداث وامتاز اسلوبه بالبساطة .

وكتـاب (ذيل تـأريخ دمشـق) لابن القلانسي (ت 555هــ) ، وتكمن أهمية هذا الكتاب بتسجيله الاحداث منذ بدء الغزو الصـليبي لبلاد الشـام الى آخر ايـام حياته وكـذلك تناوله المـدن الـتي فتحها السـلطان صـلاح الـدين مثل الموصل وسـنجار وغيرهمـا، وامتـاز مؤلفه بالدقة والوضوح واعتمد عليه أغلب المؤرخين الـذين جـاءوا بعده.

وكتاب (البرق الشامي) للاصفهاني (ت 597هــ)، الـذي يعـدّ من أهم المصـادر الـتي قـدمت لنا معلومـات قيّمة عن اسـتيلاء السـلطان صـلاح الـدين على مدينة سـنجار سـنة 578هـ، كما أنه يشـير الى حصـار السـلطان لحلب والاتفـاق الـذي حصل بينه وبين عماد الدين زنكي بن مودود بشأن مبادلة حلب بسنجار وغيرها .

وكتــاب (مضــمار الحقــائق وسر الخلائــق) لأبن شاهنشــاه الايوبي (ت617هـ)، يقدم هـذا المصـدر مـادة أساسـية عن الناحية السياسـية والعسـكرية من سـنة (575هــ) الى سـنة (581هــ)، إذ كان مشتركاً مع السلطان صلاح الدين في حصار سنجار والاستيلاء عليها سنة (578هـ)،وكـذلك حصـار الموصل سـنة (581هــ)، ومما يؤخذ عليه أنه يمثل وجهة النظر الايوبية لكونه واحـداً منهم وتـولى والده مناصب ادارية عالية في الدولة الايوبية .

وكتاب الكامل في التـأريخ لأبن الاثـير ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكـريم الجـزري (ت630هــ) الـذي قـدم سـيلاً من الروايات الاصيلة حتى وفاته، وقـدم تفاصـيل جيـدة للاحـداث الـتي دوّنها بتفاصيل جديدة ، ومع أن السـمة السياسـية والعسـكرية هي الغالبة على مؤلفه ، إلا أنه قــدم الى جانبها معلومــات اقتصــادية واجتماعية وادارية لا يمكن للباحث ان يستغني عنها .

وكتــاب (سـيرة صـلاح الـدين الايـوبي المعـروف بـالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) لابن شداد ، أبو المحاسن يوسف بن الاسـدي الحلـبي (ت 632هــ)، فقد قـدم معلومـات قيّمة عن شخصية صلاح الدين الايـوبي السياسـية والحربية لأن كتاباته كـانت صادقة لقربه وملازمته شـخص صـلاح الـدين ، وهو كتـاب بعيد عن التحيز والوصف بل كان محايداً واقعياً ، ويمثل هذا الكتـاب الوثيقة التأريخية الصادقة عن بعد الصراع مع الغزاة الصليبيين .

وكتاب (مرآة الزمان في تأريخ الاعيان) لسبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قـزاوغلي (ت 654هــ)، وقد تضـمن معلومـات قيّمة ومهمة وتكمن أهميته لمعاصـرته الاحـداث المتعلقة بالمدن .

وكتـاب (الروضـتين في أخبـار الـدولتين النورية والصـلاحية) لأبي شـامة، عبـدالرحمن بن إسـماعيل بن إبـراهيم المقدسي (ت 665هـ) . يعدّ هذا الكتاب من الكتب التأريخية المهمة الـتي أفـدت منها في بحثي هذا، إذ قدم لنا معلومات مهمة عن عصر السـلطان الشهيد نور الدين محمود والسلطان صلاح الدين الايـوبي ، إذ كـان يتابع سير المعارك والاحـداث السياسـية في بلاد الشـام والجزيـرة الفراتية . وكان يمتاز بنقده وتحليله المعلومات التي كـان يسـتقيها من مصادر معاصريه للاحداث .

وكتاب (الاعلاق الخطيرة في ذكر أمـراء الشـام والجزيـرة) لابن شـداد، عز الـدين محمد بن علي بن إبـراهيم (ت 684هــ) ، فقد قـدم لنا معلومـات كثـيرة ومهمة عن مـدن الجزيـرة الفراتية ومنها مدينة سـنجار في مختلف الجـوانب السياسـية والحضـارية والمعلومات التي تتعلق بمدن الجزيرة والشام .

وكتاب (مفرّج الكـروب في اخبـار بـني أيـوب) لأبن واصل ، جمال الـدين محمد بن سـالم (ت 697هــ) يمتـاز هـذا الكتـاب بأنه وثيقة تأريخية مهمة للايوبيين ، فقد أرخ للسلطة الايوبية من بدايتها الى نهايتها في مصر وبلاد الشـام والجزيـرة الفراتية . وقد أفـدت منه كثيراً وذلك لتضمنه وثائق رسمية تتصل بالحياة السياسـية في تلك المرحلة .

وكتاب (جامع التواريخ) لرشيد الدين فضل الله الهمداني (ت 718هـ) ، يقدم لنا هذا المصـدر معلومـات مهمة عن معركة بغـداد واسـتيلاء المغـول عليها سـنة (656هــ)، وما لحق بها من القتل والتخريب ، وكذلك قتل الخليفة العبـاسي المستعصم بالله .

وكتاب(المختصر في أخبار البشر) لأبي الفـداء، عمـاد الـدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732هـ) ، فقد قدم لنا معلومـات كانت مكملة للمعلومات التي وردت في المصادر الاخرى ، إذ كـان يعتمد على طريقة الحوليـات في متابعة الاحـداث وامتـاز اسـلوبه بالبساطة وكان كثيراً ما يذكر روايات ابن الاثـير في كتابه الكامـل .

ولا بد لي في إطـار هـذه المقدمة من ذكر شـيء من المصـاعب البالغة الـتي واجهت اعـداد هـذا البحث ، فـأول هـذه

الاسباب الوضع الامني الذي نعيشه وصعوبات الوصول الى المــدن ، وكذلك ان الكثير من مكتباتنا قد تعرّضت للسلب والنهب والحرق ، فلذلك اضطررت الى الذهاب الى المدن الشـمالية وخاصة مدينة الســـليمانية ووجـــدت هنـــاك القلـــوب المفتوحة والمفعمة بالامل والحب والتقـــدير ، وكـــذلك قلة المصـــادر تعـــدّ من أهم العوائق والمصاعب ولكن تسهيل الله كان كبيراً والحمد لله رب العالمين .